مظاهر الفكر

عند قدماء المصريين

للأستاذ سامي جبره

أحد أمناء المتحف المصري والأستاذ بكلية الآداب

obeikandl.com

obeikandl.com

أشعر بأني أخذت على نفسي بحث موضوع كنت أعتقد في بادىء الامر أنَّ من السهل تعريفه والالمامَ بشيءٍ من دقائقه ولكني أرى اني طلبت أمراً صعب المنال مترامي الاطراف كلما أحاول الدنوَّ منهُ يبتعد عني وتحول بينهُ وبيني عقبات كأداء وأشباحٌ مظلمة تكاد تصرفني عن الغرض الذي أسعى اليه

اذا كنا نعرّف في هذه الايام كلمة « فكر » بالنهاية القصوى التي يصل اليها العقل عند ما يريد التعبير بكلمات مختارة وجمل وجيزة عما يثيره الحسُّ من شعور وصور . واذا كان الفكر هو الصورة البارزة وترجُماناً عما يشغل النفس من شك ويقين فكل هذه الاحوال النفسية لا يستقرُّ لها قرار كما تعلمون . وقد نحكم اليوم بطريقة ما على شيءٍ عرفناهُ وقلَّبناهُ على وجوه شتى ثم نأتي في اليوم التالي ونحكم على هذا الشيء بطريقة تختلف عن التي اتبعناها في اليوم السابق لان أفكارنا مبنية على صور قد يتغير ما يحيط بها من ضوء فيتغير شكلها تبعاً لذلك . فمن الصعب اذاً أن نقتفي سيرَ هذه التغيرات وأن نقيدها بأسلوب ما . يفكر الرجل العصري بطريقة تحيط فكره بسياج من المنطق ويحاول الكاتب ان يضع حدًّا ونظاماً يقيد به مظاهر الاحساس المتقلبة فيخرج من هذا المنبع المتفجر نهراً صافياً مستقيمَ المجرى فيصبح لتفكير الافراد قياساً ولتفكير الشعوب نظاماً ايضاً . هذه حالة وصلت اليها الشعوب المتمدينة بفضل ما اكتسبتهُ من ثقافة الاقدمين وبعد ان عاشت قروناً عديدة يقاسم أفرادها بعضهم بعضاً ساعات السرور والالم تحت سماء واحدة وبقيادة سلطة واحدة ، فكان لهذه الامم شعور عام وكان لها تفكير عام ايضاً . غير ان مظاهر الفكر هذه لم تكن موجودة بشكلها الاكمل عند الامم القديمة منها وصلت مدنيتها من الرقي. فقد كانت الأمم القديمة في بدء حياتها مؤلفة من عناصر مختلفة وقبائل رحالة يخاصم بعضها بعضاً فتحطُّ القبيلة المنتصرة رحلها اينما وجدت للعيش سبيلاً فتدفق سيل عقائدها وقصصها على البلد المغلوب أو تقتبس القبيلة الظافرة أحياناً ما تراهُ ملائماً لعقائدها ومطابقاً لمشاربها من البلد المغلوب ولا سيما اذا كان أرقى منها مدنية

نعم كانت توجد رابطة الوحدة بين هذه القبائل ولكنها وحدة مبنيةٌ على العنف والشدة . ولم ينل السيف سبيلاً من أرواح هذه الشعوب ولم تفز القوة بطائل يمكنها من تعديل أفكار الناس وتحويل عقائدهم فالزمن وحده هو العامل الاقوى للتغير والتطوُّر . رغم هذه الاعتبارات وما يترتب عليها من مظاهر متناقضة للحركة الفكرية عند الامم القديمة ورغم مظاهر فكر اختلط فيها الساذج بالفلسفي يمكننا أن نجول جولة مثمرة في مظاهر الفكر المصري لان مصر طبعت بطابع خاص كلَّ ما دخل عليها من العناصر الاجنبية بل نقدر أن نتلمس هذا الطابع في كثير من أطوار تاريخ الامة المصرية

مظاهر الفكر المصري في الدولة القديمة ، وأعني هنا بالدولة القديمة خلافاً للتقسيم المتفق عليه في بعض كتب التاريخ ، العصر الذي يبدأ من الاسرة الاولى وينتهي في الاسرة العاشرة وهو عصر يشمل مدة الانحطاط والفوضى التي تلت الاسرة السادسة . يبتدىء هذا العصر في القرن الثاني والثلاثين قبل الميلاد وينتهي في القرن الحادي والعشرين

كانت مصر في عصر ما قبل الأسر كما هي الآن واقعة على حدود ثلاث قارات : قارة افريقيا في الجنوب ، وآسيا في الشرق ، ثم تتصل بالجزر اليونانية واوربا بواسطة البحر الابيض المتوسط الذي كان يسمى الجزء الاكبر من الدلتا . ولست في حاجة هنا الى أن ابسط امامكم تلك المناقشات المطولة التي يريد أصحابها ان ينسبوا المدنية تارة لسكان الجزء الشمالي الشرقي لمصر وهي بلاد اشور وبابل وتارة لسكان الجزء الجنوبي الشرقي أو منطقة بلاد العرب الحالية . وذلك لاننا لم نعرف للآن مدنية أقدم عهداً من المدنية المصرية ، ولان المدنية المصرية نشأت وازهرت في وادى النيل . وأرى من المجازفة الاخذ بهذه النظريات والاعتماد عليها . ولكن هناك فكرة واحدة اتفق عليها علماء التاريخ ويهمنا ذكرها ، وهي ان سكان مصر من الشلال الثاني الى مفيس كانوا مؤلفين في العصر السابق للاسر من الجنس الابيض أو الجنس الليبي المصري ولم تزحف القبائل السوداء على منطقة الشلال الا في عهد الاسرة السادسة

تدل الجماجم المصرية التي وجدت في عصر ما قبل التاريخ وما بعده كما تدل أقدم التماثيل على أن الاجناس المصرية التي سكنت وادي النيل من قديم الزمن تنقسم الى الاقسام الآتية : (١) الرؤوس الطويلة Dolichocephale وهم العنصر الاكثر عدداً في مصر ويقال عنهم انهم حسنو الشمائل ليّنو العريكة (٢) أصحاب الجبهة العريضة Brachycephale وكانوا يسكنون الجيزة وهم خشنو الطباع شداد المراس راجحو العقول اذا نالوا قسطاً من المدنية (٣) أصحاب الرؤوس المتوسطة Mesaticephale ونجد عندهم صفات مشتركة من صفات أصحاب القسمين السابقين

استوطنت هذه العناصر صعيد مصر وشمالها وعاشت في بادىء الامر معيشة قبائل همجية متفرقة ومنعزلة بعضها عن بعض . غير أن وادي النيل لا يصلح لمعيشة القبائل المتفرقة على أرضه فلا يصلح السكن في مصر الا في أماكن قريبة من ماء النيل . وفيضان النيل يحتم على الافراد الخروج من أوكارهم ووحدتهم وقت الفيضان ويتطلب مجهوداً عظيماً يتعاون فيه العدد الاكبر من السكان لبناء الجسور وحفر الترع ولدفع غارات الفيضان . فالوسط دعا سكان مصر وهم في فجر تاريخهم الى التعاون والاختلاط ثم الوحدة . وقد كان استعداد المصريين الفطري للتفكير أقوى باعث لهم على النهوض بسرعة من حالة الهمجية الى حالة أمة ذات مدنية راقية . وكان من مزايا نشاطهم العقلي انهم عرفوا وهم في فجر حياتهم التاريخية كيف ينتفعون بهذا الفيضان وكيف يجعلونه

مصدراً لخيراتهم ونعمهم . وقد مكنهم هذا النشاط الفكري من التوصُّل قبل غيرهم من الامم القديمة الى ضبط اصواتهم واشاراتهم فجعلوا منها صوراً ثم مقاطع صوتية ملتصقة ثم أحرفاً صوتية مستقلة وبعبارة موجزة توصلوا بعد جهاد مثمر الى ان يوجدوا لغة يتخاطب بها سكان وادي النيل ويتفاهم بها الناس لقضاء شؤونهم المهمة

أردنا أن نشرح ما لسكان مصر من الصفات العقلية قبل أن ننتقل الى البيئة وتأثيرها حتى ندرك اتجاه الفكر في مصر ومظاهره . ولا بدَّ من دراسة الاثنين معاً حتى يتحدد ما لكل منهما من التأثير في حياة الامة . فالبيئة الحسنة لا تجدي نفعاً من دون النشاط العقلي ، والنشاط العقلي قد يعتريه الخمول ان لم يجد بيئة حسنة ومجالاً يساعده على تحقيق ما يفكر فيه

ففي جنوب افريقيا وفي اواسطها أودية خصبة لم يقدر أهلها على تعميرها لان عقولهم لم تنضج ، وفي الصحراء عقول راجحة لم تثمر لان الوسط كان اكبر عائق لها . اما من جهة البيئة فقد كان للنيل أثر كبير في تطوُّر الفكر المصري فهو الذي وجّه جهود المصريين الى الحياة الزراعية والى العلوم الهندسية بل وقد كان النيل يتحكم احياناً في حركات المصريين فيجعلهم يعملون كالنحل بصبر وجلد متكاتفين كلما حلّ فصل الفيضان والزرع . غير ان لهذه النعم تأثيراً عكسيًّا فالمعيشة في ارض خصبة تتجدد فيها فصول الفيضان بنظام دقيق لا يتغير أوجدت في نفسية السكان روح التواكل واستعداداً شديداً للمحافظة على العادات والتقاليد . ومن يذكر أُمة زراعية يذكر أُمة ذات تقاليد قديمة . وقد كان هذا المظهر الفكري الاخير ملازماً للمصريين في كل تطوراتهم . ولا اقصد هنا ان الصناعة والفكر لم يتطورا في مصر بل كان القديم يعيش مع الجديد جنباً الى جنب فيحول دون الوصول الى المثل الاعلى

توصل المصري كما ذكرنا وهو في فجر حياته الى انشاء لغة مؤلفة من أحرف صوتية كباقي اللغات الحية ولكنه احتفظ وقت الكتابة بالصور أو بمخصصات يضعها في آخر الاحرف الصوتية وأحياناً كان يستعمل المقاطع الصوتية غير المنفصلة . وهذه طرق كان يستعملها من سبقوه قبل ان يصلوا الى ترتيب الاصوات وتوزيع الحروف . ثم كان لذاك الوادي المسطح الارجاء تأثير آخر في عقلية المصري . وادٍ تظلله سماء صافية وتغمر أرضه شمس مشرقة دائماً تظهر الاشياء فيه على خط واحد واضحة الاشكال فيراها الناظر كما هي لا يدخل عليها ظل أو غموض فاذا صوَّرها كانت الصورة طبق الاصل واذا وصفها كان الوصف بسيطاً رشيقاً متأثراً بجمال الطبيعة

قويت ملكة الملاحظة عند المصري تحت هذا الضوء حتى استطاع ان يستمد من مشاهداته اليومية معاني لكلماته ونماذج لصناعاته ودروساً لعقائده فمثلاً كان يكتب كلمة لحظة ثم يرسم في نهايتها صورة مخصصة لمعناها هي رأس فرس البحر لانه شاهد فرس البحر يطفو على سطح الماء

لحظة صغيرة من آونة الى أخرى .وكان يكتب كلمة مائة الف بأحرف صوتية تقرأ Hefen ويردفها بمخصص وهو الضفدع الصغير الذي تسبح المئات منهُ على سطح الماء في الترع وقت ايام الفيضان

للمصري شغف شديد بالملاحظة وحب الاستطلاع وقد وجد في هذا الاديم الصافي مجالاً واسعاً وبدأ يرصد الكواكب والنجوم ففسمها الى قسمين قسم سماهُ بالنجوم السيارة وقسم آخر اطلق عليه اسم النجوم الثابتة ثم لاحظ نجماً يظهر في أفق ممفيس مرة واحدة في السنة قبل شروق الشمس بربع ساعة وكان من حسن الحظ ان اتفق ظهور هذا النجم مع بدء فصل الفيضان فسمى هذا النجم بكلمة سبد Sapod المجهز أو المبشر بموسم الزرع وجعل يوم ظهوره فاتحة السنة الزراعية وهو أول يوم توت . ويقول لنا علماء الفلك ان هذا النجم كان يظهر مرة واحدة بعد كل ٣٦٥ يوم وربع وقد ظهر لاول مرة في مكانه في القرن الثاني والاربعين قبل الميلاد وهو التاريخ الذي عرف فيه المصريون السنة الشمسية . غير ان كهنة هليوبوليس وممفيس كانوا يعلمون تمام العلم ما لعقائد الشعب وما لعاداته من قوة فاكتفوا بتسجيل هذا التاريخ في المعابد وتركوا الشعب يؤرخ حوادثه بالسنة العادية المؤلفة من ٣٦٠ يوماً. ولما اراد الكهنة ادخال خمسة أيام حتى يقرّبوا السنة العادية من السنة الشمسية التجأوا الى بدعة خرافية لا أرى داعياً لذكرها هنا وقد أطلقوا على هذه الايام الزائدة أيام ولادة الآلهة حوريس وأوزيريس وايزيس ونفتيس وست حتى لا يفزع السواد الاعظم من هذه التغيرات . هذه هي أهم مظاهر الفكر المصري وهو في بدء حياته التاريخية ويمكن ان نلخصها في ما يأتي : (١) استعداد فطري للتفكير نجدهُ في العناصر النشيطة التي عمرت مصر في عصر ما قبل التاريخ (٢) بيئة ملائمة لتوحيد السلطة وبور وضاح يقوي ملكة الملاحظة فيجعل المصري محققاً في صناعته بسيطاً في عباراته (٣) ميل الى التواكل والمحافظة على التقاليد والعادات

ولنبسط الآن كيف نمت هذه الصفات المتناقضة وما مظاهرها في تطور الفكر المصري

اذا رجعنا الى تاريخ مصر قبل ان توحد السلطة فيها تحت لواء ملك واحد وجدناها منقسمة الى امارتين امارة الوجه القبلي وامارة الوجه البحري وكانت تنقسم كل منهما الى اقاليم ومدن ولكل من هذه الاقاليم والمدن إلـه وقصص واساطير مختلفة تفسر تارةً تاريخ مصر وتارةً مسألة الخليقة ولكن هذه الاساطير لم تكتب بل كان يتناقلها الابناء عن الآباء عن طريق الحديث الشفوي ولم تدوّن هذه الاساطير والقصص والعقائد الاّ في عهد ملوك الاسرة الخامسة على جدران حُجَر الاهرام في دهشور وصقارة

تشتمل نصوص الاهرام على فصول عديدة لم يراع فيها التبويب والتقسيم بل نجد فيها تضرعات وصلوات للملك المتوفى واوصافاً لعقائد قديمة واناشيد لاوزيريس إلـه الموتى ولإلـه

النيل حابي وتعاويذ سحرية وقد كتبت بشكل خطاب موجه تارةً للملك وتارةً للإلهة

وما زلنا في حاجة الى الصبر والأناة لنصل الى تفسير هذه النصوص تفسيراً مُرضيًا غير اننا نعرف انها كتبت في جُمل قصيرة حتى يراعى فيها الالقاء والاوزان الشعرية التي تشبه التراتيل ومن وقت لآخر نجد في هذه الاناشيد جملاً لا تخلو من الصور الجميلة والخيال الشعري. فمثلاً نجد الجمل الآتية في خطاب موجه لاوزيريس وكلة اوزيريس يقصد بها الملك المتوفي وهو بلفائف التحنيط :

« قم وحلّ هذه اللفائف . إنها ليست لفائف تضم جسمك. بل هي خصلة من شعر نفتيس أختك التي تبكيك . تبكيك السماء . تتصدع الارض أسىً لفراقك . يتلبد الجو بالغيوم وتمطر النجوم حزناً . ويقف الحراس خاشعين عند ما يمرُّ روحك »

ونجد في نصوص الاهرام رقم ١٥٥٣ - ١٥٥٤ وصفاً للنيل :

« تضطرب القلوب خوفاً عند تلاطم أمواجك يا حابي (اله النيل) . ولكن تضحك الحقول وتزدهر الضفتان . فمؤك هبة السماء للارض تجعل الناس يسجدون لك بقلوب طروبة »

نعم لم تدوَّن عقائد المصريين وقصصهم الاَّ في عهد الأسرة الخامسة ولكن لنا من حسن الحظ كثيراً من الآثار التي يرجع تاريخها الى الأسرة الاولى والثانية أو قبل الاسرة الخامسة بخمسمائة سنة .وقد أراد المصريون في كثير من هذه الآثار أن يصفوا لنا بعض الحوادث السياسية او الاعياد الدينية ، واستعراض بعض هذه الحوادث وتفسيرها يمكننا من الاطلاع على أول مظاهر الفكر وطريقة التعبير عنه. وأول شيء يلفت أنظارنا في بعض الآثار المأخوذة من الاسرة الاولى وما قبلها هو اكثار المصري من استعمال الصور والرموز لوصف هذه الحوادث وهذه الاعياد اذ كان من العسير عليه ان يلجأ الى لغته المكتوبة لان الكلمات المكتوبة لم تزل قليلة ولأن وصف هذه الحوادث يتطلب اسلوباً مرناً لم يكُ من السهل العثور عليه في لغة حديثة العهد . ومع ذلك تزداد دهشتنا عند ما نلاحظ ان كثيراً من هذه الصور كان متقن الصنع وقد راعى الصانع فيه بعض القواعد الفنية كتناسب الاوضاع وبساطة الصور مع خفة الحركة فكان الصناعة الفنية وُلدت قبل صناعة الكلام

ومن هذه الصور صورة تمثل اميراً من أمراء الوجه القبلي يرأس حفلة زراعية بعد انتصاره على سكان الدلتا ومن بقي من سكان الوجه القبلي . نجد هذا الامير واقفاً على ضفة نهر قابضاً على فأس يشق به الارض الى ان يصل الى العمق المحدود فتتفجر المياه وتنساب في الارض حتى تضحك الحقول وتزدهر ضفتا النيل كما يقول لنا المصري في نشيده للنيل . ولا شكَّ في ان هذه الصورة الرمزية تبرهن لنا على ما للحياة الزراعية من المقام . حتى ان أمير البلاد يرأس

هذه الحفلة بنفسه . وقد قيل لي ان في بلاد الحبشة عادة تقرب من هذه العادة وهي ان الملكة تذهب الى الحقول وقت الحصاد وتفتتح فصل الحصاد بيدها

وثمة صورة اخرى تضف لنا المرحلة النهائية لتوحيد السلطة في الوجهين القبلي والبحري فنرى الملك نارمر اومنا متوّجاً بتاج الوجه القبلي يتأهب لضرب احد الاعداء في الشمال الشرقي بالدلتا وأعداء آخرين يتأهبون للهروب . وعلى الجانب الآخر من هذه اللوحة نجد الملك متوجاً بتاج الوجه البحري تتقدمهُ اعلام القبائل التي اتحدت معهُ وعاونتهُ في مهمتهِ ثم نجد اجساماً قطعت رؤوس اصحابها ووضعت الرؤوس بين الأرجل ولما اراد الصانع ان يحدثنا عن شدة عزيمة الرئيس وبطشه في ساحه القتال شبههُ بثور يدمر حصون قلعة بقرنيه

ولوحة ثالثة مأخوذة من قاعدة تمثال الملك خاسخم احد ملوك الاسرة الثانية ، وقد اراد الصانع هنا ان يصف لنا انتصار الملك على قبائل الليبيين والنوبيين فمثل لنا معركة واجساماً وقعت على الارض تحت سهام قواد الجيش وها نرى منهم من يفزع ومن يحتضر ومن يهرب . في كل هذه اللوحات الثلاثة لا نجد ما يزيد على العشر كلمات وكلها اسماء اشخاص او اسماء بلاد او عدد الاسرى

بدأ المصري اذاً يعبر عن افكاره بصور ورموز ظهرت فيها قوة الملاحظة ودقة الرسم ولكن اتى وقت اضطرّ فيه ان يعالج بعض المسائل الدينية والادبية التي تحتاج الى كثير من الاسترسال والامعان فنجده ينتقل من المرحلة الاولى ويستعين بالكتابة بل يكثر من الكلام المكتوب غير انهُ لم يسع في الخلاص من الرموز بل كان يكتب الرمز كتابة ويصوره تصويراً يعقبهُ بجمل قصيرة متكررة فيخيل للناظر السطحي ان التعبير ركيك وان المعنى ساذج مع ان لهذه الرموز والصور مغزًى فلسفيًّا يدل على الاسترسال والتعمق في الفكر

سأل Porphyre احد تلامذة المدرسة الافلاطونية في الاسكندرية التي كان رئيسها افلوطين في سنة مائتين وخمسين بعد الميلاد صديقاً لهُ مصريًّا وكاهناً اسمهُ Anibo (مشتقة من Anibus (الاله المصري) لماذا يستعمل المصريون رموزاً منظورة للتعبير عن قوة الاله الكامنة وغير المنظورة؟ فأجابهُ الكاهن المصري ان قوة الخالق تظهر لنا في كل مخلوقاتهِ وان جمال هذه القوة يتحقق في كثير من هذه الرموز التي يستعملها الكهنة المصريون في عبادتهم . يمثل لنا المصريون الاله جالساً فوق زهرة اللوتس وزهرة اللوتس مقدسة عند المصريين لأن حبوب هذه الزهرة تنمو داخل غلافها ثم تمزق هذا الغلاف وتتخذ الماء عرشاً ثم تزهر على سطحهِ ولأن شكل اللوتس يشبه الدائرة والدائرة تشبه قوة العقل التي تدور حول نفسها في كل مظهر من مظاهر النشاط العقلي والعقل نفسه مظهر الاله الاكبر في خليقتهِ

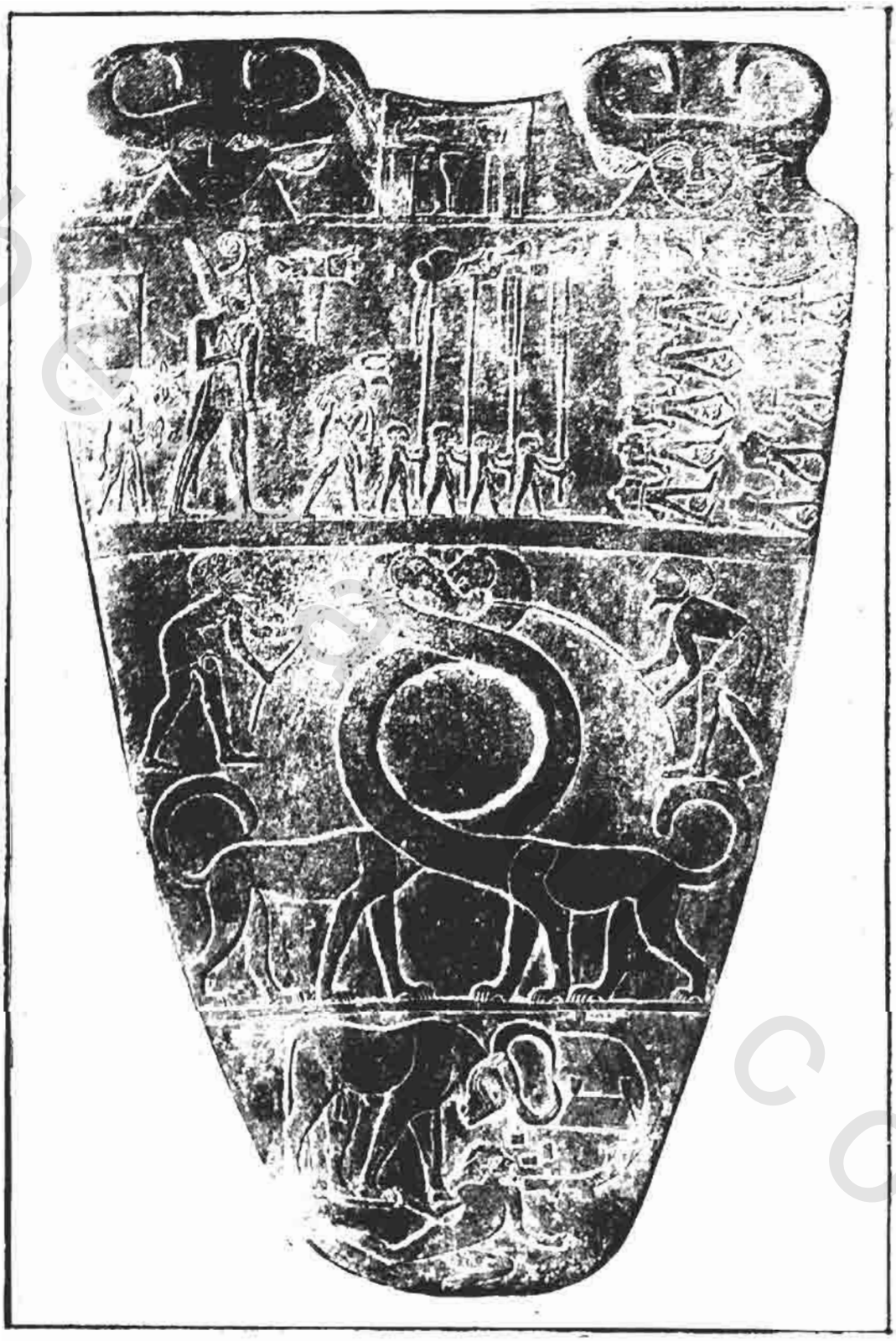

... فكانَّ الصناعة الفنية ولدت قبل صناعة الكلام (ص ١٠٧)

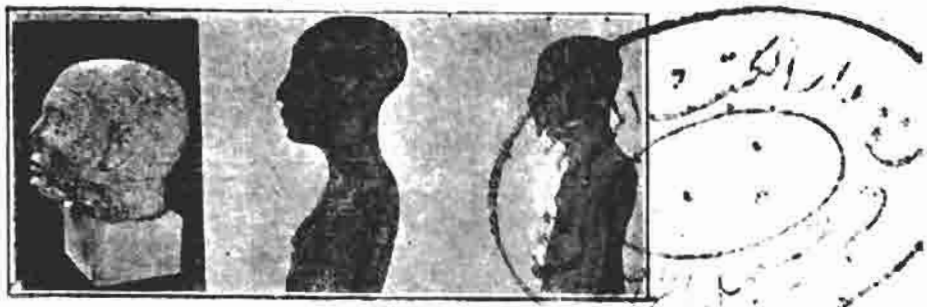

ثلاثة أمثلة لثلاث جماجم ص ١٠٤

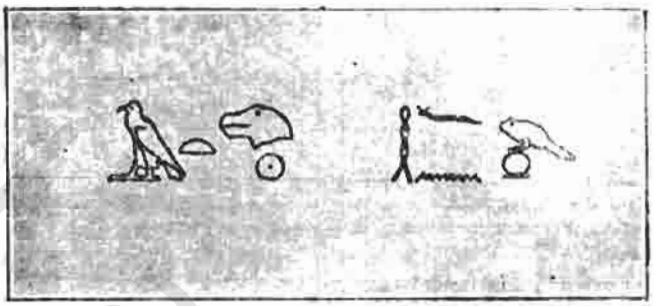

التعبير عن المعاني بكلمات تردف كل كلمة منها بصورة مخصصة ص ١٠٦

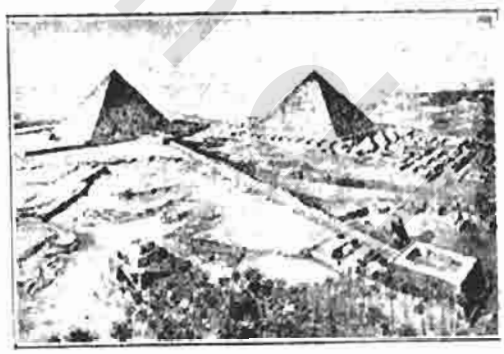

فكرة اعادة حلقة الزمن في بناء الاهرام ص ١٠٩

للتعبير عن حياة الانسان في الحياة الأبدية ص ١١٠

عالج المصريون مسألتين كبيرتين وهما مسألة الخلود او الابدية ومسألة الخليقة

خلود او ابدية عند المصريين معناه تجدد دائم وتكرار حلقة الوقت والزمن وسلسلة الزمن لا يقطعها الموت، وما الموت الاّ طريق يعبر منهُ الانسان حتى يتمكن من تجديد حياة اخرى لا تخلو من الشبه بالحياة المادية السابقة

تقول ايزيس في رثائها لاوزيريس نقلاً عن نصوص اهرامات الأسرة السادسة:—

أنت الذي رحلت عنا سترجع الينا مرة ثانية . أنت الذي نمت ستستيقظ . أنت الذي مت ستحيا . قف فجسمك لا يَفنى الآن وستبقى للابد

ونجد في موقف آخر في نصوص الاهرام ما يأتي :—

لم يمت الملك تيتي بل يعيش الى الابد . من قال انك مت انك بلغت المرسى

قم قف فأنت نجم ساطع لا يفنى بل يعيش الى الابد

ونجد نظرية رجوع الزمن وتكراره الدائم حتى في قصص المصريين فنجد في قصة سينوحي وقد طالت به الغربة في صحراء سيناء ما اسعد من يموت في بلدة وُلدَ فيها

نجد ايضاً فكرة إعادة حلقة الزمن في بناء الاهرام وفي صناعة التمثال

كلمة فرعون معناها صاحب البيت العالي . كان يمتاز فرعون وهو حي بعلو مسكنه وبجلال مكانته فهو خليفة الله على الارض وهو الوسيط بين الشعب وربه وفيه يجد المصريون رمز الوحدة والسلطان . فالاهرام العالية الذرى هي بيوت فرعون الابدية ومنها يشرق على شعبه كما كان يشرق عليهم وهو في حياته . وتري مقابر حاشيته تحيط به وهم عند قدم الاهرام كأنهم يركعون خشوعاً ويشخصون اعجاباً كما كانوا يفعلون وهم على قيد الحياة

اما التمثال فهو مسكن الروح اذا فني الجسم وفي التمثال نجد صورة ناطقة للملك تلوح عليه سمات الجلال والسكون فهو جالس على عرش رسم على احدى جوانبه صورة اللوتس والبردي يتعانقان وهما رمزان لقوات الوجهين القبلي والبحري

لم يفرق المصري بين الابدية المطلقة التي لا علاقة لها بالزمن حيث لا توجد بداية ولا نهاية وبين ابدية زمنية يتوقف امدها على الطبيعة ولما اراد ان يفسر لنا مصير الانسان في الحياة الابدية قسم الجسم الى ثلاثة اقسام Akh و Ba و Ka ويلوح لنا من غموض النصوص التي تشرح هذه الاقسام ان المصري جمع شتات عقائد منتشرة في وادي النيل وحاول ان يدمجها في عقيدة واحدة . يقصد المصري بكلمة كاء مظهر العقل والخلق في الانسان . يرافق الكاء الانسان في هذه الحياة الدنيا ويقوده في الآخرة ولكن لا بدّ ان يلتقي الكاء بالجسم او ما يحل محله والاّ كان مصيره الفناء وقد مثلوهُ بشكل ذراعين مرفوعتين للفضاء للتضرع والحماية . وما زلنا نجد في

القرى المصرية عقيدة تشبه عقيدة الكاء في كلة قرينة اما عند الامم الغربية فيعبرون عن كلة كاء بكلمة الملاك الحارس Ange Guardian

اما الباء فصورهُ المصريون على شكل طائر بوجه انسان لهُ ذراعان يقبض باحداهما على علامة الريح وبالاخرى على علامة القوة . اما وجه الانسان فهو صورة الله واما الريح فمعناهُ ان الهواء روح الانسان وكلة روح Ba. Animus لها معنى واحد

يحكى في قصة مصرية معروفة بورقة Westea ان الملك خوفو كان حزين النفس فأحضرت له الحاشية عرّافاً قديراً على قطع رقاب الحيوانات وردّها الى الجسم قبل ان تفارقهُ الروح فطلب منهُ الملك خوفو ان يقطع رقبة اسير ويردها الى الجسم. فأجاب العرّاف: مولاي، ان الانسان صورة الله وهو حيوان مقدس. فلم يشدد الملك في طلبه وتركهُ يقطع راس طائر وردها . وجاء في سفر التكوين الاصحاح الاول : وقال الله نعمل الانسان على صورتنا وشبهنا ونفخ في انفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية . ونجد في نصوص الاهرام الجمل الآتية في وصف Ba

« انت روح . انت آله . ان روحك لك فلتعش ولن تموت »

اما كلة اخ Akh فهي الحالة الكاملة التي يصل اليها الانسان بعد موته فيصير نجما ويصبح في مصاف الآلهة كان هذه الاقسام لاتنفصل بعضها عن بعض وعن الجسم او ما يحل محله فالكاء يعيش مع الجسم والروح لازمة للكاء ولا مندوحة عن هذا وذاك قبل ان يصير المخلوق اخ او يدخل في مصاف الآلهة

ترون مما تقدم ان المصري حاول التفكير والبحث فيما وراء الطبيعة وقد فكر في مسألة الروح والعقل فتارة يسمو الى جميل التعبير المعنوي وتارةً يهوي الى الماديات فيخلط بين المادي والروحي ويفسر الروحي بالمادي ويتصور ملكوت السماء على شاكلة ملكوت الارض